المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 12 A آذار 2024
No.12A March 2024

الإشهار في العتبات النصية في تراث ابن حزم الأندلسي(456ه) (خطاب المقدمات اختياراً)

الباحث : محسن نعمه جعفر
أ.د. صادق جعفر عبدالحسين
جامعة ذي قار / كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
Mohsn5599@gmail.com

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الدور الذي تلعبه المقدمة في إبداعات ابن حزم الأندلسي الإشهارية، كمادة نصية موازية تسهم في تأويل وفهم دلالة النص، وتجعله متميزا يتهافت عليه القراء للإطلاع عليه، وكشفت ما في النص من إشهار لأفكاره وقضاياه، وسعيه إلى تعليل أسباب توجهه لعرض موضوع بعينه، وبما أن المقدمة تمتلك طابع تواصلي بين الخطيب والمخاطَب، فقد سمحت لأبن حزم بترويج رسائل إشهارية بمختلف أبعادها السياسية والدينية والفكرية ، وتشجيع المتلقي على إقتناء المنتوج عبر تسويق ثقافة تلامس حاجة المتلقي .

الكلمات المفتاحية : ابن حزم، الإشهار، خطاب المقدمات ، اللغة ، المرسل، المتلقي

Publication in the textual thresholds in the heritage of Ibn Hazm Al-Andalusi (456 AH) (optional introduction letter)

Researcher: Mohsen Nehme Jaafar
Prof. Dr. Sadiq Jaafar Abdul Hussein
Dhi Qar University / College of Arts / Department of Arabic Language

Abstract :

This study aims to explain the role that the introduction plays in Ibn Hazm Al-Andalusi's advertising creations, as a parallel textual material that contributes to the interpretation and understanding of the meaning of the text, and makes it distinct for readers to flock to. In particular, since the introduction has a communicative nature between the preacher and the addressee, it allowed Ibn Hazm to promote advertising messages in their various political, religious and intellectual dimensions, and to encourage the recipient to purchase the product by marketing a culture that touches the recipient's need.

Keywords: Ibn Hazm, advertising, speeches, language, sender, recipient

المقدّمـة

يشكل خطاب العتبات النصية أو "النص الموازي" سنداً قوياً في المنظومة الإبداعية، لما تقدّمه من إضاءة للنص، ولما ترسله من طاقات توجيهية في مسار الابداع الادبي، وكشف لأغواره، حيث اصبحت تشكّل حقلاً معرفياً مستقلاً له مصطلحاته الخاصة[1]، والعتبات حسب "جيرار جينيت" هي تلك التفاصيل التي ترافق العمل الادبي والنصوص المحيطة بالمتن، وهي ((مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: حواش وهوامش وعناوين رئيسية واخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة وغيرها من بيانات النشر المعروفة))[2] ، وهي عناصر موجّهه بالدرجة الأساس إلى قارئ النص ومتلقيه، لتضعه على المسار الصحيح للقراءة[3]، التي تتكفل بتقديم النص إلى القارئ دونه سواها، وعليه ((يفرض النص الموازي وجوده على القارئ، المتلقي لفهم النص فهماً اولياً، وتمنحه فرصة للتعرف عليه باعتباره منظومة متكاملة لا يمكن تجاوزها في تأثيره على القارئ في أول لقاء بينهما بصرياً أو فكرياً))[4] .

وباعتبار أن العتبات النصية في العمل الإبداعي بمثابة واجهة إشهاريـة، يعمل المبدع من خلالها على تحفيز القارئ لجذبة وإقناعه، وذلك من خلال التأثير عليه، عبر بنياتها الجمالية والكشف عن الخبايا الي يحملها النص في مضمونه، ولهذا اتبع ابن حزم منهجاً خاصاً في نحت عتباته النصية، وهو نهج ارتبط بمقصدية معينة موجّهه إلى الاخر، وعليه تهدف العتبات النصية في إشهار ابن حزم إلى ترويج النص من خلال إغراء المتلقي بقراءاته والتي تنطلق من مجموع الافتتاحيات الخطابية المصاحبة للنص .

ولعل من أهم العتبات التي رُمتُ الوقوف عليها والاقتراب منها على وجه الخصوص(عتبة المقدّمات) في بعدها الإشهاري ، كونها من أبرز الخطابات الموازية للنص المركزي الممهدة لقراءته[5] .

أولاً : مفهوم المقدمة وقصدية المؤلف

تعرّف المقدّمة على أنها ((خطاب مستقل أو متصل بالمتن الرئيس، وهي بمثابة تمهيد للعمل، يشرح فيه الكاتب أو المبدع تصوراته أو نظرياته ورؤاه حول قضية معينه معتمدا على سؤال الكيف، وسؤال الهدف، وقد تتخذ هذه المقدمة صيغة سردية، أو درامية أو شعرية))[6] ، وهذا المفهوم يحلينا على أهم الأهداف العامة التي يهدف اليها المؤلف في كتابة مقدمته، منها التعريف بمنهج المؤلف وشرح خطته في تناول الكتاب، والتصريح أو التلميح بمقاصد المؤلف من تأليف الكتاب ، والإعلان عن متن النص وتفاصيله وشروحاته .

ولا تخفى أهمية المقدّمات في الأعمال الأدبية ، بوصفها خطاباً افتتاحياً موجهاً بالأصل إلى المتلقي، ولا يمكن تجاهلها بسهولة ، إذ ((إنّها وعاء معرفي وأيديولوجي تختزن رؤية المؤلف وموقفه من العالم ... وتتيح للكاتب العديد من إمكانات التعبير والتعليق والشرح))[7].

وحتى يأخذ خطاب المقدمّة طريقه إلى قلب القارئ، واستدراجه صوب مقاصد التقديم لا بد أن تتوفر فيه قصدية المؤلف، ومسؤوليته الواعية على كل ما يأتي به داخل مؤلفه حتى يكتسب ذلك البعد الجمالي في فن الكتابة ، إنها ((باختصار شديد بمنزلة بوصلة يهتدي بواسطها القارئ إلى القراءة الجيدة التي تجنبه شطط التأويل وسوء التقدير))[8]

ثانياً : مفهوم الإشهار

وتحقيقاً لأهداف البحث الرامية إلى بيان الدور المهم الذي تؤديه التعبيرات الإشهارية في الخطاب المقدماتي في تراث ابن حزم الاندلسي ، لابد من معرفة مفهوم الإشهار لغة واصطلاحا :

1- الإشهار لغة :

أن لفظ الإشهار هو مصدر للفعل المزيد، (أشهر يُشهر)، وتدل على معاني مختلفة منها المجاهرة بالشيء والإعلان والإظهار والذيوع فقد وردت في لسان العرب في مادة(شُهِر)، على أنها (الشهرة) أي ظهور الشيء في شُنعةٍ حتى يشهره الناس[9]، ويعرفه الفيروز آبادي في القاموس المحيط قائلاً : ((وهو من مادة شهر التي تعني أشهر الشي أي بمعنى أعلنه وأفصح عنه وصار معلوماً لدى الناس))[10]، وورد في مختار الصحاح، ((والشهرة وضوح الأمر، تقول : شهرت الأمر من باب قطع، واشتهرته أيضا فاشتهر ... ولفلان فضيلة اشتهرها ، وشهر سيفه من باب قطع أ سله))[11]، ومن هنا يتضح لنا أن الإشهار يحمل معنى الإظهار، والانتقال بالشيء من الخفاء إلى التجلي

2. الإشهار اصطلاحاً :

لقد تعددت التعاريف المطروحة للإشهار وتنوعت ، وذلك تبعاً لتوجهات نظر المفكرين والباحثين في استعماله، إلا أن الإطار الذي يجمع هذه التوجهات واحد ومتفق عليه وهو أن الإشهار نشاط إتصالي واجتماعي واقتصادي ترويجي يهدف إلى تسويق سلعة أو خدمة أو منتوج أو حتى فكرة ما، وإقناع

المستهلك باقتنائه، وقد عرفت دائرة المعارف الفرنسية الإشهار بأنه ((مجموع الوسائل المستخدمة في تعريف الجمهور بمنشأة تجارية أو صناعية، وإقناعية بامتياز منتجاتها، والإيعاز إليه بطريقة ما بحاجته إليها))[12]، وهنا ركّزت دائرة المعارف الفرنسية على الوسائل التي استخدمت وضرورة التأكيد على أن الإشهار يعتمد على اللغة والصورة والمعلومات تصاغ كلها لتكوين تعريفاً ملماً على منتوج تجاري معين، ويرى الناقد المغربي سعيد بنكراد عن طريق تعريفه للإشهار بأنه ((السلاح الأساسي لتكييف الأفراد لتقبل هذا النسق الجديد من العلاقة بين الفرد والمؤسسات التجارية))[13].

لا يقتصر الإشهار على الجانب التجاري، بل ينفتح على ترويج الأفكار والخدمات بأبعادها السياسية والأجتماعية والدينية والثقافي والأدبية، لأنه ((يقوم على الإغراء والإغواء وهو ما يعني في جميع الحالات استدراج المستهلك من خلال الإشباع النفعي إلى عوالم الاستيهام))[14]، وفي ضوء ماتقدم يتبين أن الإشهار يقوم على فكرتين رئيسيتين أحدهما تقديم منتج وعرض خدمة، وثانيهما طرح فكرة ، والغاية هي دفع المتلقي للإقتناء أو اعتناق الفكرة ، ووسيلة في ذلك هو ممارسة فعل نفسي لتحقيق الإقناع ، وله القدرة على التأثير في المتلقي ، وإعادة تشكيل وعيه ، ورسم رؤية تتعلق بالمنتج الذي يروّج له ، أو بالفكرة التي يدور حولها الخطاب[15].

ثالثاً : إشهارية الخطاب المقدّماتي

لم يغفل ابن حزم الاندلسي عن أهمية إرشاد قارئة وتوجيهه، في تراثه العلمي،((لضمان القراءة الناجحة للعمل الذي تُشكل الوظيفة المركزية في الخطاب المقدماتي))[16]، فسعى بغية ذلك إلى بيان الأسس التي راعاها في عرض مادته ، وتفصيل القول في منهجه الذي اتبعه ، وإبراز مقاصده التي يروم اليها من وراء هذا التصنيف ، فالتصريح بالقصد من أهم وظائف الخطاب المقدماتي الأصلي وذلك ((لتقديمه تأويلاً للنص من طرف الكاتب ، وفيه يعلن عن قصده ، هذا ما اريد فعله قصده في الكتاب))[17]، وهذا يعني ان خطاب المقدماتي عند ابن حزم هو خطاب شكّل حيزاً مهماً في عملية التأليف، سواء أقصر أم طال، فهو جزء لا يتجزأ من رسالته الإشهارية ، لذلك كان خطاب المقدمة عنده بمثابة خطبة استهلالية ترتكز على ثلاثة محاور أولها اسباب الكتابة ودواعيها وأهدافها، وثانيهما تحديد المتلقي أو المرسل إليه الذي يمكن أن يكون صديق له ، أو قارئاً متلقياً عاما أو خاصاً، وثالثهما تبيان الكيفية التي ألف فيها العمل.

ولعل في توشيح خطابه المقدماتي الإشهاري استهلاله بالعبارات والتراكيب الدينية، ما يشيع فيها من الرونق والبهاء ، مما يعلي قدرها ويبرز قيمتها التركيبية والدلالية ، ويحقق وظيفة الاستهلال ((وهي وظيفة اتصالية في جعل السامع منقاداً ومنتهباً وعطوفاً))[18] .

((بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصل الله على محمد خاتم النبيين والمرسلين، وسلم تسليما ، ونسأل الله تعالى أن يصحبنا العصمة من كل خطأ وزلل، ويوفقنا للصواب في كل قول وعمل، آمين آمين ...))[19] وقوله : ((بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، بديع السموات والارض وما بينهما ذي العرش المجيد الفعّال لما يريد، وصلى الله على محمد عبده وخاتم انبيائه ورسله إلى عباده ...))[20]، وقوله: ((بسم الله الرحمن الرحيم افضل ما ابتدئ به حمد الله عز وجل بما هو أهله، ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصة، وعلى جميع انبيائه عامة ...))[21].

حيث يظهر ابن حزم في خطابه المقدماتي الإشهاري، أنه درج البسملة في صدر جميع مصنفاته ، نظراً إلى أهمية هذه العبارة من التيمن والتبرك ، وهي رسالة إشهارية ذات قيمة حجاجية بارزة، وهي تسلطها بسلطة النص الديني، ذلك الأثر الذي يقف عنده كل مسلم متلقي للعمل الذي يُلقى إليه، فالبدء بالبسملة يضع المتلقي من اللحظة الأولى أمام قدسية الخطاب ، تلك القدسية التي تتخذ أحقية الإقتناع بما تمثله من مرجعية دينية ذات سلطة تؤدي (دوراً رئيسياً في انتاج الخطاب وتأويله، كما أنها تمنحه قوته الإنجازية)[22]، ولكي يؤكد ابن حزم خطابه الإشهاري التجاءه إلى سلطة النص الديني رأيناه يُردف خطابه المقدماتي بعد البسملة بالتحميد والدعاء، ففي قوله : (ونسأل الله تعالى أن يصحبنا العصمة من كل

خطأ وزلل، ويوفقنا للصواب في كل قول وعمل، آمين آمين[23]، فنسأله أن يجعلنا من الشاكرين[24]، إذ يتضمن الدعاء قيمة إقناعية بالغة الأهمية، ولذا فهو يلتمس كل وسيلة لغوية من شأنها الإعانة على تحقيق الإقناع ، وذلك بتكثيف سلطة الخطاب الديني عن طريق ارادف البسملة بـ (الحمد لله رب العالمين)، ثم الدعاء في صورة من صور ترتيب أجزاء القول، ومن ثم ترتيب المقدمات الحجاجية التي تترتب على نتائجها .

ولم يكتف ابن حزم ببيان منهجه وقصده من وراء تصنيف كتاب، ولم يقف عند توجيه قارئه وتسديده فـ (ليس من وظيفة الاستهلال إرشاد القارئ وتوجيهه فقط، ولكن معرفة ما يريد قراءته ايضاً)[25]، ولهذ حرص ابن حزم أن يُشهِر بالشريحة التي يمكن لها أن تقرأ كتابه، والدوافع من التأليف ، لأنه المثير لعملية التواصل بين المؤلف والمتلقي فيقول:

(وكلَّفتني ـــ أعزَّك الله ـــ أن أصنِّف لك رسالةً في صفة الحب ومعانيه، وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا مُتزيِّدًا ولا مفتنًا)[26] .

يظهر من هذا النص أن ابن حزم كان واعياً اشد الوعي بالجنس الذي كتب فيه ، وهو الرسالة ، فقد شهر في مقدمة رسالتة طوق الحمامة عن ذلك ، وهو يوجّه خطابه الإشهاري لأحد أصدقائه استجابة لطلب منه أن يؤلف رسالة في الحب ومعانيه واسبابه ، وصاحبه هذا ليس محض خيال، وانما هو شخص يحضى بوجود فعلي، فإن توجيه الخطاب على الاغلب في الكتابة إلى شخص بعينه يشده ، ويشعره بنوع من الصلة والوجدانية بينه وبين متلق يتصور أنه يصغي إليه ، ويشاركه لحظة الكتابة تلك .

ويقول في موضوع اخر :

("أما بعد" وفقنا الله وإياكم لطاعته، فإنكم رغبتم أن نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا الموسوم " بالمجلى " شرحاً مختصراً أيضاً ، نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار ، ليكون مأخذاً سهلاً على الطالب والمبتدئ)[27].

وهذه رسالة إشهارية ألم ابن حزم بعناصر الخطاب المقدماتي، المتمثلة بالمنهج والقصد والتوجيه والدوافع من التأليف، موجهاً خطابه إلى شريحة معينة من مريدي هذا العلم ، فما كان منه إلا أن يشهّر بجنس هذا المصنف وهو شرح المسائل المختصرة التي جمعها في كتابه المجلى لتكون سهلة على الطالب والمبتدئ ، ليضمن توجيه المتلقي إلى مقاصدة من تأليف الكتاب، فالكتاب مدرج تحت شرح المسائل الفقهية بصورة مبسطة بدون اكثار ولا تعقيد لتكون سهلة الفهم للطالب والمبتدئ، لذا فأن تعيين الشريحة التي من الممكن أن تقارب العمل يشكل محوراً من محاور الخطاب المقدماتي[28].

والحقيقة أن في خطاب المقدمات الإشهارية عند ابن حزم ، الرغبة في تأكيد حتمية التأليف ، والتجاءه للخطاب الحجاجي إلى ((أن يقوي طرحه بالاعتماد على الاساليب البلاغية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس))[29]، ولذلك كان أسلوب التوكيد في السياق الداعي إلى التأليف في مؤلفاته ، لأن من فوائد التوكيد ((إزالة الشكوك ، وإماطة الشبهات))[30]، عن الحجة المطروحة ، ومن ثمة يتحقق معها الهدف الحجاجي وهو الوصول بأذهان المتلقين إلى التسليم بما يُعرض عليها من طروحات ، أو أن تزداد في درجة التسليم ، إذ يقول :

(ثم رأينا أن الأظهر في البيان ، على من أراد فهم هذا الباب والوقوف عليه كأنه شاهده ، أن يحكي بلفظنا ذكر عمله (ص) منقلة ، من حين خروجه (ص) من المدينة إلى مكة إلى حين رجوعه عليه السلام إلى المدينة ...)[31] .

إن اعتماد ابن حزم على أسلوب التوكيد أضاف بعداً إشهارياً على نصه الإشهاري في خطاب المقدمة ، لأن التوكيد من أنجح الوسائل الحجاجية لإقناع الآخر ، فنلحظ أن ابن حزم قدّم في النص السابق

أسلوب التوكيد المتمثل بـ (أن الأظهر في البيان ، أن يحكي)، لغرض الدفاع عن فكرته الإشهارية، ففي النص أراد أن يثبت للمتلقي حقيقة مادونه من سيرة الرسول محمد (صل الله عليه وآله وسلم) من حين خروجه من المدينة إلى مكة ، إلى حين رجوعه إلى المدينة، ليجعل المتلقي أو القارئ كأنه يُشاهد حقيقة الأحداث، عبر توظيف الأسلوب اللغوي، ولكي يُطَمئِن متلقيه ، نلحظ أن ابن حزم يتحدث عن حُسن الأخبار الصحيحة المسندة بالأدلة والبراهين ليثبت صدق دعواه في نصوصه، وهذا بطبيعة الحال يستنفر في المتلقي أنساقه الكاملة ، لتشكل هذه المقدمة رسالة إشهارية واضحة لشدّ انتباه المتلقي، ومحاولة كسب اهتمامه ، حيث يقول :

((وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لم نحتجّ إلا بخبر صحيح من رواية الثقات مسند ، ولا خالفنا إلا خبراً ضعيفاً فبينا ضعفه ، أو منسوخاً فأوضحنا نسخه . وما توفيقنا إلا بالله تعالى))[32].

إذ ينطلق ابن حزم للفت انتباه المتلقي نحو مضمون كتابه من خلال التجاءه إلى أسلوب القصر المتمثل بالأداة (إلا)، في (لم نحتجّ إلا بخبر صحيح ، ولا خالفنا إلا خبراً ضعيفاً)، في صورة من صور البنية اللغوية للجملة العربية ، بغية إنتاج دلالات خاصة يتم التوجه بها إلى المخاطب ، إقناعاً بقضية ما ، إذ قصر الاحتجاج بالخبر الصحيح من الاحاديث، مع رفض الأحاديث الضعيفة السند، ليعلن صراحة وبوضوح لمتلقية من أئمة العلم والحديث في الأندلس[33]، أنه محّص الآراء تمحيصاً دقيقاً وعرضها على ميزانه الدقيق، ليخرج بحجة الرأي الصحيح، كما نلحظ في التراكيب الإشهارية السابقة استثماره لطاقة الأفعال الإنجازية في (لم نحتجّ إلا بخبر صحيح ، ولا خالفنا إلا خبراً ضعيفاً فبينا ضعفه ، أو منسوخاً فأوضحنا نسخه) لتقوية خطابه الإشهاري عبر ممارسة السلطة الإلحاحية للإقناع بصدق البراهين والأحاديث الصحيحة التي يحتجّ بها في كتابه ، تمهيداً لتسويق كتابه وثقافته الدينية

كما غلبت الأفعال الإخبارية التقريرية في الخطاب المقدماتي عند ابن حزم ، حيث وجد فيها ضالته ، فتكمن بواسطتها من التعبير عن وجهة نظره ، وتوضيح مقصده من العمل ، وترسيخ دعواه ، بغية استمالة المتلقي ، ومن ابرز الافعال الإخبارية قوله :

(فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عزّ وجلّ في جمعه، وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجحة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين)[34].

فقد وظف ابن حزم الأسلوب الخبري بوصفه وصفياً تقريرياً ، ليصف عملية جمع وتدوين كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ليبدأ رسالته الإشهارية بفعل إخباري (جمعنا ، استخارتنا ، و قصدنا)،عن هذا الكتاب وما ينماز به من صفات تجعله مبني على شرط الإخلاص والأمانة في العمل المتمثل في نقل الروايات والبراهين ، والتعبير الصادق في عملية التأليف ، وعنايته بالبحث والتمحيص، وإيراد الأدلة والحجاج العقلية والنقلية التي تثبت باجلى البراهين ، واستعان المرسل بوسيلة بلاغية حجاجية أخرى والمتمثلة بالطباق، لما يمتلكه من قيمة إشهارية تزيد المعنى وضوحاً ، ويضفي جمالاً ورونقاً على الأسلوب ، فقد طابق بين (قرب و بعد)، مولداً صوراً معبرة لغرض توضيح المعنى في ذهن القارئ أو المتلقي واستجلاب أسماعهم لقبول فكرة قصده من تأليف كتابه ، وتحقيق مرادة بواسطة الثنائيات المتضادة في النص ، مما يسهم في تعزيز دلالة النص الإشهاري ، فضلاً عن ما يضيفه الطباق من تزويق شكلي يقوم بتحفيز الذهن عبر (ذكر الاضداد التي هي أقدر على تمييز الأشياء وتجليتها)[35]، فالمتلقي يفاجأ عند سماعه اللفظة المضادة بعد سماعه اللفظة الأولى .

وكذلك في قوله :**(ثم اعلم إن هذا الفن من العلم من تتمات الإجتهاد ، إذ الركن الأعظم في باب الاجتهاد : معرفة النقل ومن فوائد النقل معرفة الناسخ والمنسوخ)**[36].

فقد وظف ابن حزم اسلوب الأمر المتمثل بـ(اعلم) كأسلوب لغوي توجيهي للوصول إلى غايته الإشهارية ، ولتكون فكرته المطروحة في المؤلف رائجة في الأوساط المستهدفة ، فيوجّه ابن حزم رسالته الإشهارية التي بيّن فيها أهمية وفوائد علم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، ونلحظ أنه مثّل في هذا

النص الفكرة المحورية والبؤرة التي دار حولها الخطاب المقدماتي الإشهاري ، مروّجاً لهذا العلم بفعل له ثقله في المقدمة ، سعى من خلاله المشهّر إلى توجيه المخاطَب نحو فعل سلوك محدد في المستقبل، ليثبت من خلاله أن علم الناسخ والمنسوخ هو من العلوم المتممة التي يجب أن يعرفها المجتهد ، فضلاً عن أنه ركن عظيم من أركان فهم الدين، فقد أجتهد ابن حزم في محاولة التأثير في السامع أو المتلقي ، واستمالته لقراءة كتابه، فعوّل على فعل الأمر على ترسيخ مقاصده ، مما يفضي إلى إقناع المتلقي بمنجزه .

ويستثمر ابن حزم في خطابه المقدماتي الإشهاري، بمقدمة حجاجية ، هي من قبيل الأحكام العامة، التي تعمل على تقوية الكلام ، فضلاً عما تحمله من خطاب إشهاري ذي أبعاد فكرية ، وكأنه يُهيئ مهاد التقبل في كيان متلقي الخطاب ، طارداً الشبهات التي الصقت من لدن خصومه ، فمن ذلك قوله في مقدمة رسالة الرد على الهاتف من بعد :

((الحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم النبيين ، وعلى ملائكة الله المقربين وأنبيائه المرسلين، ثم السلام على أهل الإسلام، فإن كنت منهم أيها المخاطب فقد شملك ما عمهم، وإن لم تكن منهم فلست أهلاً للسلام عليك))[37].

وهذه رسالة إشهارية يوحي من خلالها بعمق إنتماءه إلى عترة المسلمين ، بعد أن جرده خصمه من أهليته الدينية، فالافتتاحية التي وطأ بها المشهّر خطابه ، هي نقطة انطلاق السلم الحجاجي ، ومنها تتحدد مآلات الخطاب ونهاياته[38]، فهو عندما استعمل (مقام الحمد والتعظيم ، ومقام النبي محمد "صل الله عليه وآله وسلم" ومنزلته بين الانبياء ، ملائكة الله المقربون وأنبيائه المرسلون ، السلام على أهل الإسلام)، أذاب كل شبهة للطعن في سيادة المسلمين وأعلام المؤمنين، وهي الشبهة التي زعموا أن ابن حزم قد سقط في بركتها الآسنة، ولكي تحقق الرسالة الاشهارية غايتها استعان ابن حزم بأسلوب الشرط المتمثل بالأداة (إن) في (فإن كنت منهم أيها المخاطب فقد شملك ما عمهم، وإن لم تكن منهم فلست أهلاً للسلام عليك)، لتوجيه المخاطَب وحمله على القبول والإذعان بدعوى المرسل متخذاً من سلطة الأحكام المشتركة الإقصاء الديني على خصمه ، بعد أن جعل من قوله : (السلام على أهل الإسلام)، شرطاً بانتماء المخاطَب إلى المؤسسة الدينية، فبهذا الشرط جعل المشهّر خطابه يقوي بهذا الحجاج الذي يسيج به اعتقاده .

كما لجأ ابن حزم في مقدماته إلى آلية النفي والإثبات بطريقة فنية ما يودُ الترويج عنه لمتلقيه، فهو ينفي أن يكون كتابه مقتصراً على موضوع محدد بل يثبت بتوسيع المعاني ليتمكن المتلقي من الإحاطة بمضمون الكتاب، فمن ذلك قوله :

((ونحن نورد نصَّ الفاظهم ، على ركاكتها وغثاثتها، لئلا يضنوا بجهلهم أنها إن أوردت مصلحة قد نسخت حقها ولم توفَّ مرتبتها، ونبين بعون الله، عظيم ما فيهما من الفساد والهجنة))[39]، إذ أدت صيغة النفي الواردة في النص رسالة إشهارية يوحي من خلالها بعمق ثقافته الدينية وهو في معرض الرد على فقهاء المالكية، ولكي يقحم المتلقي فكان نص مقدمته يُشهر بجماعة لا بفرد عبر الترويج بفساد عقائد الطرف الآخر وركاكة الفاظ خطابهم، فربط إشهاره المقدماتي بين نفي صدق دعواهم ، وبين أثبات صدق دعواه عبر السلطة الدينية .

وابن حزم قد نصّب من نفسه إماماً في العلم والمعرفة، وتوجّه إلى متلقيه عبر ترغيبهم بنصوص كتبه وأعماله العلمية من خلال الوقوف على الجانب الأساس التي ترتكز عليها ثقافته الدينية ومكانته الاجتماعية، يقول في مقدمة كتابه الإحكام في أصول الأحكام :

((ثم جمعنا كتابنا هذا وقصدنا فيه بيان الجمل في مراد الله عزوجل ، وجعلنا هذا الكتاب بتأييد خالقنا عز وجل لنا، موعباً للحكم فيما اختلف فيه الناس من أصول الأحكام في الديانة مستوفي، مستقصي، محذوف الفضول، محكم الفصول))[40] .

ويستشف من ذلك أن ابن حزم توجّه مباشرة إلى المتلقين بأسم الإشارة (هذا)، مفادها أنه عمل على صناعة رؤية خاصة تليق بجمهور المتلقين من حيث العلمية والرتبة العالية التي ينماز به كتابه (الإحكام في أصول الأحكام)، فرسالته تحمل من الثناء الكبير لهذا الكتاب جاعلاً منه مأرباً لايمكن لفحول الفقهاء وعامة الناس أن يجاوروه ـ حسب تعبيره ـ ، وهذا ما يستنفر في المتلقي مشاعر الاقتناء والاقتداء به ، لذلك جاء خطابه المقدماتي لغرض السيطرة على الآخر بالاستراتيجية التوجيهية والترويج لكتابة بأنه الأفضل بين قرائنه من التصانيف العلمية .

الخاتمة

كان لابد للبحث أن ينتهي إلى نتيجة، بعد جولة في جزء من مقدمات تراث ابن حزم الأندلسي، إذ تمكن من استثمار المقدمات في تصانيفه بوصفها نص محكم تشد القارئ وتجعله يتابعه إلى النهاية ، ليروّج من خلالها لأفكاره وأيديولوجيته ورؤيته وموقفه من العالم ، إذ أنها شكّلت جسر تواصل لاستقطاب المتلقي تواصلياً، وتمكّنه من تفكيك النصوص داخل تصانيفه المتنوعة، عبر إغواء القارئ لمتابعة القراءة، ومن ثم كسب موافقته، مستخدماً استراتيجيات مهمة أدت وظيفة فعّالة شكّلت بؤراً في جذب المتلقي وحثه على متابعته .

الهوامش

[1] ينظر : معجم السيميائيات، فيصل الأحمر ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1 ، 2010 : 223

[2] مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، عبد الرزاق بلال، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، بيروت ـ لبنان (د ط) 2000 : 16

[3] ينظر: فاعلية العتبات النصية في قراءة النص السيري (السيرة الأدبية للربيعي نموذجاً)، خليل شكري هلياس، بحث مجلة المسار ، اتحاد الكتّاب التونسيين، تونس ، ع60 ، 2002 : 16

[4] فاعلية العتبات النصية في الخطاب الشعري لابن عربي : ترجمان الاشواق نموذجا : سعاد شريف ، بحث منشور / مجلة دراسات معاصرة / الجزائر، العدد2019،2 ، ص 138

[5] ينظر : المقدمات النقدية القديمة في الشعرية العربية ، نبيلة أعبش، رسالة ماجستير كلية الآداب ، الجزائر، 2009: 6

[6] الخطاب المقدّماتي (مقال) د. جميل حمداوي ، صحيفة المثقف ، ع2251 ، 2012/11/3م

[7] خطاب المقدمات في الرواية العربية ، د. عبدالملك اشبهون ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، مج33،ع2،، اكتوبر 2004م، : 78– 88

[8] المصدر السابق : 92

[9] لسان العرب ، ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد مكرم، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 12/ 431 - 432

[10] القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت لبنان ، ط8 ، 2005 : 421

[11] مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مكتبة لبنان ، بيروت لبنان (د. ط) 1986 ، مادة شهر

[12] صناعة الإعلان في العالم العربي ، حنان يوسف، اطلس للنشر والانتاج الاعلامي، القاهرة ، ط1 ، 2008 ، : 15

[13] استراتيجيات التواصل الإشهاري ، سعيد بنكراد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا اللاذقية ، ط1 ، 2010 : 52

[14] المصدر السابق : 8

[15] النص الإشهاري: ماهيته أنبناؤه وآليات اشتغاله، محمد خاين ، عالم الكتب الحديث للنشر ط1 ، 2010 ، : 146 - 147

[16] عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبدالحق بالعابد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ط1 ، 2008 : 117 – 118

[17] المصدر السابق : 123

[18] مدخل إلى الخطابة، أوليفيي رويل، ترجمة رضوان العصبة، أفريقيا الشرق للطباعة والنشر، المغرب، 2017 : 83

[19] المحلى بالاثار : ابن حزم ، تح د.عبدالغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية للنشر بيروت لبنان، 2003م، 1: 21

[20] التقريب لحد المنطق : ابن حزم الاندلسي ، تح احمد فريد المزيدي، ، دار الكتب العلمية للنشر بيروت لبنان: 9

[21] طوق الحمامة : ابن حزم الاندلسي، تح حسن كامل الصريفي ، مطبعة حجازي القاهرة 1950 : 2

[22] استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية : عبدالهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 2004 : 220
[23] المحلى بالأثار ،ابن حزم الاندلسي : 21
[24] النبذ في اصول الفقه، ابن حزم ، تح محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة، ط1، 2010م : 9
[25] عتبات جيرار جنيت : عبدالحق بلعابد : 121
[26] طوق الحمامة، ابن حزم الاندلسي : 8
[27] المحلى بالأثار، ابن حزم الاندلسي : 21
[28] الخطاب المقدماتي : جميل حمداوي ، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية: 4
[29] التداولية والحجاج مداخل ونصوص : صابر الحباشة ، صفحات للدراسات والنشر، سوريا دمشق ط1، 2008م : 50
[30] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي، مراجعة وتدقيق محمد بن عبدالسلام شاهين ، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت لبنان ، 1995: 2 / 176
[31] حجة الوداع : ابن حزم الاندلسي، تح ابي عبدالرحمن عبدالمجيد بن قائد السميري اليمني، مكتبة صنعاء الأثرية : 24
[32] المحلى بالاثار : ابن حزم الاندلسي : 21
[33] معجم فقه ابن حزم الظاهري : محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني، دار الجيل للنشر والتوزيع ، 1/2009 : 36
[34] الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الاندلسي : مكتبة السلام العالمية: 1 / 9
[35] دراسات منهجية في علم البديع ، د.الشحات محمد ابو ستيت ، جامعة الأزهر، القاهرة، ط1 ، 1994: 36
[36] الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الاندلسي ، تح عبدالغفار سليمان البنداري ، منشورات الجمل، بيروت لبنان 2016: 7
[37] رسائل ابن حزم الاندلسي ، تح إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 2007 ، 2: 119
[38] ينظر : المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، شايم بيرلمان، ترجمة وتحقيق محمد الولي، دار الكتب الجديدة للنشر، 2023 : 78
[39] رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، ابن حزم ، تح إحسان عباس
[40] الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الاندلسي ، تح محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، 2010 : 8

المصادر والمراجع

1. الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الاندلسي ، تح محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، 2010
2. استراتيجيات التواصل الإشهاري، سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا اللاذقية ، ط1 ، 2010
3. استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية : عبدالهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 2004
4. التداولية والحجاج مداخل ونصوص : صابر الحباشة ، صفحات للدراسات والنشر، سوريا دمشق ط1، 2008م
5. التقريب لحد المنطق : علي ابن حزم الاندلسي ، تح احمد فريد المزيدي، ، دار الكتب العلمية للنشر بيروت لبنان
6. حجة الوداع ، ابن حزم الاندلسي، تح ابي عبدالرحمن عبدالمجيد بن قائد السميري اليمني، مكتبة صنعاء الأثرية
7. دراسات منهجية في علم البديع ، د.الشحات محمد ابو ستيت ، جامعة الأزهر، القاهرة، ط1 ، 1994
8. رسائل ابن حزم الاندلسي ، تح إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت لبنان، 2007
9. صناعة الإعلان في العالم العربي ، حنان يوسف، اطلس للنشر والانتاج الاعلامي، القاهرة ، ط1 ، 2008
10- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي، مراجعة وتدقيق محمد بن عبدالسلام شاهين ، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت لبنان ، 1995،
11- طوق الحمامة ، ابن حزم الاندلسي، تح حسن كامل الصريفي ، مطبعة حجازي القاهرة 1950
12. عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبدالحق بالعابد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ط1 ، 2008
13. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الاندلسي : مكتبة السلام العالمية،
14. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت لبنان ، ط8 ،
15. لسان العرب ، ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد مكرم، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ،
16. المحلى بالاثار : ابن حزم ، تح د.عبدالغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية للنشر بيروت لبنان، 2003م،

17. مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مكتبة لبنان ، بيروت لبنان (د. ط) 1986
18. مدخل إلى الخطابة، أوليفيي رويل، ترجمة رضوان العصبة، أفريقيا الشرق للطباعة والنشر، المغرب، 2017
19. مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، عبد الرزاق بلال، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، بيروت ـ لبنان (د ط) 2000
20. المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، شايم بيرلمان، ترجمة وتحقيق محمد الولي، دار الكتب الجديدة للنشر، 2023
21. معجم السيميائيات، فيصل الأحمر ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1 ، 2010
22. معجم فقه ابن حزم الظاهري : محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني، دار الجيل للنشر والتوزيع ، 2009
23. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الاندلسي ، تح عبدالغفار سليمان البنداري ، منشورات الجمل، بيروت لبنان 2016
24. النبذ في اصول الفقه، ابن حزم ، تح محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة، ط1، 2010م
25. النص الإشهاري: ماهيته أنبناؤه وآليات اشتغاله، محمد خاين ، عالم الكتب الحديث للنشر ط1 ، 2010 ، : 146

المراجع

1. خطاب المقدمات في الرواية العربية ، د. عبدالملك اشبهون ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، مج33،ع2،، اكتوبر 2004م
2. الخطاب المقدماتي (مقال) د. جميل حمداوي ، صحيفة المثقف ، ع2251 ، 2012/11/3م.
3. فاعلية العتبات النصية في الخطاب الشعري لابن عربي : ترجمان الاشواق نموذجا : سعاد شريف ، بحث منشور، مجلة دراسات معاصرة ، الجزائر، ع2019،2
4. فاعلية العتبات النصية في قراءة النص السيري (السيرة الأدبية للربيعي نموذجاً)، خليل شكري هلياس، بحث مجلة المسار ، اتحاد الكتّاب التونسيين، تونس ، ع60 ، 2002
5. المقدمات النقدية القديمة في الشعرية العربية ، نبيلة أعبش، رسالة ماجستير كلية الآداب ، الجزائر، 2009